وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال : قالت عائشة كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قوله «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» وقال : «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان توابا ، فقد رأيتها ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾» ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند به . وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال : «سبحان الله وبحمده» فقلت : يارسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده قال : «إني أمرت بها ـ فقال ـ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾» إلى آخر السورة ، غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد فيكتب ههنا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثاً تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به ، والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً ، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة .

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها ، فتح مكة ، يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي الحديث ، وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا «السيرة» فمن أراده فليراجعه هناك ولله الحمد والمنة وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار حدثني جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم عليّ ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا ، فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا» . آخر تفسير سورة النصر ، ولله الحمد والمنة .

سُورَةُ المَسَدِ

ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى : «ياصباحاه» فاجتمعت إليه قريش فقال : «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ـ قالوا : نعم ، قال : ـ فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك ! فأنزل الله : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخرها وفي رواية فقام ينفض يديه وهو يقول : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ الأول دعاء عليه والثاني خبر عنه ، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ ، واسمه عبد العزي بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتيبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهلياً فأسلم قال : رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : «ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه

صابىء كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ، ثم رواه عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيراً ؟ قال : لا والله إني يومئذ لأعقل أني أزفر القربة ، تفرد به أحمد .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول : إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة ، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول «يابني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به» وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه : يابني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ماجاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه ، فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : عمه أبو لهب ؛ رواه أحمد أيضاً والطبراني بهذا اللفظ ، فقوله تعالى : ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أي خسر وخاب وضل عمله وسعيه ﴿وتب﴾ أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه .

وقوله تعالى : ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ قال ابن عباس وغيره ﴿وماكسب﴾ يعني ولده ، وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله ، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان ، قال أبو لهب : إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فأنزل الله تعالى ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ وقوله تعالى : ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي أم جميل ، واسمها أروى بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده . فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم ، ولهذا قال تعالى : ﴿حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ماهو فيه ، وهي مهيأة لذلك مستعدة له ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ قال مجاهد وعروة : من مسد النار ، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي ﴿حمالة الحطب﴾ كانت تمشي بالنميمة واختاره ابن جرير .

وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدلي والضحاك وابن زيد ، كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ . قال ابن جرير : كانت تعير النبي ﷺ بالفقر ، وكانت تحتطب فعيرت بذلك ، كذا حكاه ولم يعزه إلى أحد ، والصحيح الأول والله أعلم . قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال : المسد الليف ، وقال عروة بن الزبير : المسد سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ، وعن الثوري : هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً ، وقال الجوهري : المسد الليف ، والمسد أيضاً حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ، ومسدت الحبل أمسده مسداً إذا أجدت فتله .

وقال مجاهد ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ أي طوق من حديد ، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسداً ؟ وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي ، حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبي بدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ، ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول :

مذمماً أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ، ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يارسول الله لقد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك . فقال رسول الله ﷺ «إنها لن تراني» وقرأ قرآناً اعتصم به كما قال تعالى : ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت : ياأبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني ، فقال : لا ورب هذا البيت ماهجاك ، فولت وهي تقول : قد علمت قريش أني ابنة سيدها قال : وقال الوليد في حديثه أو غيره : فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت فقالت : تعس مذمم ، فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إني لحصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم ، وكلتانا من بني العم ، وقريش بعد أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر : لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله ﷺ «إنه سيحال بيني وبينها» فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت : ياأبا بكر هجانا صاحبك ، فقال أبو بكر : لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به ، فقالت : إنك لمصدق ، فلما ولت قال أبو بكر : مارأتك ؟ قال «لا ، مازال ملك

يسترني حتى ولت» ثم قال البزار : لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر رضي الله عنه . وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى : ﴿في أيدها حبل من مسد﴾ أي في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ، ثم كذلك دائماً ، قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير ، وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حبل الدلو ، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات : كل مسد رشاء ، وأنشد في ذلك :

وبكرة ومحوراً صرارا ومسداً من أبق مغازا

قال : والأبق القنب . وقال آخر :

يامسد الخوص تعوذ مني إن تك لدنا لينا فإني
ما شئت من أشمط مقسئن

قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالى : ﴿سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾ فأخبر عنها بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لها أن يؤمنا ولا واحد منها لا باطناً ولا ظاهراً ، لا مسراً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة . آخر تفسير السورة ، ولله الحمد والمنة .

سورة الإخلاص

ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

ذكر سبب نزولها وفضلها

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد محمد بن ميسر الصاغاني ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : يامحمد «انسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾ وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منيع ، زاد ابن جرير ومحمود بن خداش عن أبي سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذي قال ﴿الصمد﴾ الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد محمد بن ميسر به ، ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية ، فذكره مرسلاً ثم لم يذكر حدثنا ، ثم قال الترمذي : وهذا أصح من حديث أبي سعيد .

[حديث آخر في معناه] قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا شريح بن يونس حدثنا إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال : انسب لنا ربك ، فأنزل الله عز وجل ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها إسناد متقارب ، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن شريح فذكره ، وقد أرسله غير واحد من السلف ، وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة ﴿قل هو الله أحد﴾ قال الطبراني : ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم ، عن أبي وائل مرسلاً ، ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي ، عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد . الله الصمد» والصمد ليس بأجوف .

[حديث آخر في فضلها] قال البخاري : حدثنا محمد هو الذهلي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن ، حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن ، وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ «أخبروه أن الله تعالى يحبه» هكذا رواه في كتاب التوحيد ، ومنهم من يسقط ذكر محمد الذهلي ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضاً من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال به .